

الدّان واكتساب اللغة العربيّة الفصحى

- 1 يدافع الدكتور عبد الله مصطفى الدّان عن نظريّة مُفادها أنّه يمكن اكتساب اللغة العربيّة الفصحى بالفطرة، وأنّه يمكن تعليمها للأطفال في البيت قبل بلوغ السادسة من العمر، أي قبل دخول المدرسة أصلاً.
- 2 والدكتور الدّان هو أستاذ جامعيّ فلسطيني، مارس رسالة التربية والتعليم في مختلف المؤسسات التعليمية أكثر من نصف قرن، وله بحوث لغويّة ونتاج أدبيّ شعريّ وقصصيّ، وتحمل سلسلة قصصه للأطفال الاسم "الحيوانات تُفكّر"، وهو المقتنع بأنّ الفشل في تعليم العربيّة الفصحى لا ينبع من صعوبتها، بل من مناهج تدريسها.
- 3 وقد بدأ يطبق نظريّته هذه، نظريّة إكساب الطفل العربيّة الأدبيّة بالفطرة والممارسة، على ولديه في البيت وقد ملكا ناصيتها وهما يافعان. وتستند رؤية الدّان في تعليم العربيّة الفصحى للطفل إلى الحقيقة العلميّة القائلة: إنّ للأطفال حتّى سنّ السادسة قدرة فطريّة عالية على اكتساب المهارات اللّغويّة.
- 4 وقد كشف علماء لغة معروفون منذ نصف قرن (مثل "نوعم تشومسكي" و "إرفن" و "لينبرغ") عن تلك الطاقة الفعّالة في دماغ الطفل في تعلّم اللغات وإمادة اللثام عن المنظومة القواعديّة بشكل ذاتيّ داخليّ ومعقّد، وسماها تشومسكي "الطاقة الفطريّة" أو "النظام في المخ"، ففي مقدور الطفل إجادة لغتين أو أكثر، في آن واحد، إذا ما وُجد في ظروف طبيعيّة لاستعمال هذه اللغات. يستخدم الطفل، ك لغويّ صغير، بشكل غير متناهٍ، وسائل متناهية كما قال. وقد أشار لينبرغ إلى أنّ هذه القدرة اللّغويّة الفطريّة تأخذ بالضمور والانحسار بعد سنّ السادسة، وتتلاشى قريباً من سنّ البلوغ، إذ تأتي مرحلة منصّبة

بمعظمها على اكتساب المعرفة. بعبارة أخرى، بعد أن يبلغ الطفل السادسة من عمره، يحتاج إلى بذل جهد ملحوظ في عملية تعلّم اللغة، وغالبًا تكون عبر برامج دراسية منتظمة وطويلة.

5 واقع التلميذ العربي على ضوء هذا الأساس العلميّ النظريّ لافت حقًا للانتباه والتفكير؛ فهو يلتحق بالصفّ الأوّل بعد إتقانه لهجته الخاصّة بأهله وبمكان سكناه، إلّا أنّ هذه اللهجة ليست وسيلة لاكتساب العلم والمعرفة وفق المناهج التعليميّة الرسميّة، ولذا ينبغي عليه تعلّم لغة تختلف كثيرًا عن لهجته تلك، هي العربيّة الفصيحة. وضعُ هذا التلميذ صعب، إنّهُ معاكس لطبيعة الخلق؛ قدرته الدماغيّة على تعلّم اللغات آخذة بالتناقص، زد على ذلك الحاجة المُلحّة لاكتساب أصناف مختلفة من المعرفة في موضوعات كثيرة، كالدين والحساب والرسم وجميع المعارف. بعبارة أخرى، على ابن العرب أن يتعلّم المعرفة ووسيلتها اللُّغويّة، في آن واحد، في حين أنّ أطفال الشعوب الأخرى يكرّسون اهتمامهم الرئيسيّ في تحصيل العلم والمعرفة، وقد قيل: "إنّ التلميذ العربيّ يشبه الصياد الذي ذهب إلى البحر، ونسي شبكة الصيد!"

6 وهذا الازدواج اللغويّ العميق -اللغة المكتوبة واللغة المنطوقة- يرافق الإنسان العربيّ ويُغصّ حياته التعليميّة فترة طويلة من عمره، وقلّما تغدو الفصيحة لغة أمّ، فاللهجة قد تُستخدم لغة تواصل وشرح للمادّة التدريسيّة، ويُلجأ إلى الفصيحة عند القراءة والكتابة، إذ يشرح المعلم الموادّ التدريسيّة بالعاميّة، وذلك لأنّه لا يتقن اللغة الفصيحة، في الغالب الأعمّ، من جهة، ومن جهة أخرى، لأنّ التلميذ لا يعرف الفصيحة. ونتيجة لهذين العاملين، يتخبّط التلميذ بين محاولة فهم المادّة من جهة، وبين القدرة على التعبير عن ذلك بالفصيحة كما يُطلب منه، من جهة أخرى. وكثيرًا ما ينتج عن مثل هذه الظروف الضاغطة والمحبطة حفظ المادّة عن ظهر قلب، دون فهم قسم كبير منها.

7 كان الدنّان، في بدايات العام 1978م، قد قام بتجربة رائدة على ابنه البكر "باسل"، عندما كان ابن أربعة أشهر، فخاطبه بالعربيّة الفصيحة، في حين تحدّثت الوالدة إليه بالعاميّة الدمشقيّة، ولوحظ أنّ

الابن بدأ يستجيب للكلام الفصيح فهمًا عندما بلغ من العمر عشرة أشهر. ولدى الدنان اثنا عشر شريطًا مسجلًا لابنه وهو في سنّ الثالثة، وقد كان باسل قادرًا على التواصل بالفصيحة دون أخطاء، وهناك شريط فيديو يؤرّخ لهذه الفئة العمرية. وفي مرحلة الصفّ الثاني، كان باسل قد قرأ ثلاثمائة وخمسين كتابًا. واستمرّ الدنان بتجربته اللغوية الجريئة هذه مع ابنته التي تصغر أختها بأربعة أعوام، وتكلّلت التجربة هذه بالنجاح أيضًا.

8 تجربة الدنان هذه شبيهة بتجربة من أحيا لغة اليهود "العبرية الحديثة" إلعزر بن يهودا (1858م- 1922م)، في أواخر القرن التاسع عشر في فلسطين، مع ابنه "إيتمار" المعروف بـ "الولد العبري الأول"، بعد أن كانت لغة مكتوبة "ميّنة"، مدّة سبعة عشر قرنًا من الزمان.

9 تكوّن برنامج الدنان لتدريب المعلمين والمعلّمات للتحدّث بالفصيحة، من عشرة محاور تشمل مختلف الأنشطة والمواقف الحيويّة داخل الصفّ وخارجه، وتستغرق مدّة التدريب ثلاثين ساعة فقط، موزّعة على خمسة عشر يومًا.

10 أسّس الدنان "دار الحضانة العربية" في الكويت، في أواخر الثمانينيات من القرن العشرين، ثمّ "روضة الأزهار العربية" في دمشق عام 1992م، ولغة التواصل بين المعلّمات والأطفال هي الفصيحة. وتشير التقارير التي أعدها باحثون ومربّون من أقطار عربيّة كمصر والمغرب والأردن، وأخرى أجنبيّة كالولايات المتّحدة وإنجلترا، إلى نجاح هذه التجربة نجاحًا باهرًا، وقد طالبت هذه التقارير بتشجيع هذه الفكرة وتعميمها.

11 ثمرة هذا الجهد الدؤوب تظهر في أشرطة فيديو. وقد حصل الدنان على ثلاث جوائز ذهبيّة في أواخر التسعينيات من القرن الماضي من اللجنة العلميّة السوريّة لتقويم المبدعين، واتّبعت روضات أخرى في دمشق النهج نفسه.

12 ويرى الدنان أنّ للمرحلة الابتدائية أهميّة قصوى في إكساب فلذات أكبادنا ناصية اللغة العربيّة،

العُروة الوثقى بين العرب؛ فهي موحّدة، واللهجات القُطريّة مفرّقة. ومن المعروف أنّ الأسلوب التواصليّ الوظيفيّ هو الأكثرُ ملاءمةً والأحدثُ في تعلُّم اللغات؛ ويُدعى هذا النمط من التعليم بما يمكن تعريبه بـ "الاستغراق" أو "التغطيس اللغويّ"، أي استخدام لغة الهدف (الفصيحة -في هذا السياق) على الدوام، ومع الجميع، وفي كلّ الظروف والحيثيّات، داخل الصفّ، وخارجه، طيلة الدوام المدرسيّ الرسميّ. بكلمات أخرى: ربط اللغة بالواقع بكلّ مظاهره؛ فإنّ "السماع أبو المَلَكات اللسانيّة" -كما قال عالم الاجتماع الفدّ عبد الرحمن ابن خلدون (ت. 808 هـ).

13 لذلك نقول: ليكُن النحو في الكلام كالمُح في الطعام. ليكن استعمال العربيّة الأدبيّة العصريّة شاملًا لدى الجميع في ساعات الدوام المدرسيّ، لدى جميع أعضاء الهيئة التدريسيّة وفي كلّ الموضوعات التعليميّة، أمّا خارج هذا الإطار التعليميّ، في الشارع وفي البيت، فيعود التلميذ إلى لهجته، وبمرور الزمن سيصبح العربيّ مسيطرًا على هذين النمطين الرئيسيّين للغة الضاد.

(أخذ النصّ بتصرّف من موقع الشبكة العنكبوتيّة: المختار الإسلاميّ)

الأسئلة

👉 أجب عن جميع الأسئلة التالية:

1. نظرية الدكتور عبد الله الدنان تشير إلى:

- أ. إكساب الطفل اللغة العربية الأدبية بالفطرة والممارسة.
- ب. إمكانية تعليم اللغة العربية الفصيحة للأطفال عند دخولهم المدرسة.
- ج. اكتساب الأطفال للغة العربية الفصيحة في السادسة من العمر.
- د. جميع ما ذكر.

2. حسب رأي الدكتور عبد الله الدنان، الفشل في تعليم اللغة العربية الفصيحة ينبع من:

- أ. التركيز على اللغة العامية.
- ب. صعوبتها.
- ج. البيئة المحيطة بالطفل.
- د. مناهج تدريسها.

3. تستند رؤية الدكتور عبد الله الدنان في تعليم الطفل العربية الفصيحة إلى الحقيقة العلمية القائلة:

- أ. إنَّ الطفل يحتاج إلى بذل جهد ملحوظ في عملية تعلّم اللغة.
- ب. إنَّ عملية تعلّم اللغة تكون عبر برامج دراسية منتظمة وطويلة.
- ج. إنَّ للأطفال حتّى سنّ السادسة قدرة فطرية عالية على اكتساب المهارات اللغوية.
- د. جميع ما ذكر.

4. في الفقرة الرابعة، أشار العالم لينبرغ إلى أنّ الطفل بعد سنّ السادسة

5. ما الذي يدفع المعلم إلى شرح المادّة التدريسيّة باللهجة العاميّة (اعتمادًا على الفقرة السادسة)؟

6. ما المقصود بـ "الاستغراق" -تبعًا للنصّ؟

7. وردت مقولة العالم ابن خلدون: "السماع أبو الملكات اللسانيّة" حول

8. اكتب فقرة تبرز فيها رأيك حول نظريّة الدكتور عبد الله الدنّان.

👉 في ربط المعاني

أ. بيّن إلى أيّ اسم يعود الضمير في كلّ ممّا يلي:

الفقرة 7 -	ابنه	‘ فخاطبه
الفقرة 10 -	أعدّها	‘ تعميمها
الفقرة 12 -	فهي	‘ تعريبه

ب. ضع دائرة حول المعنى الأقرب إلى كلّ كلمة من الكلمات التالية، ثمّ ضع ثلاثاً منها في جمل مفيدة:

الفقرة 1	مُفادها:	ضربتها، معناها، مُفردها، طريقها
الفقرة 1	بالفطرة:	بالأمل، بالعمل، طبيعياً، عند الفطور
الفقرة 4	إمالة اللثام:	إعاقة المثلّمين، تعليم الأصول، الكشف عن، إطالة العمر
الفقرة 4	الضمور:	الضياع، الضعف، الذهول، العنف
الفقرة 4	تتلاشى:	تتحاشى، تتعافى، تزول، تنتشي
الفقرة 5	ينبغي:	ينجلي، يعتدي، يعرف، يجب
الفقرة 11	الدؤوب:	المستدّيب، المدبّب، المثابر، المتعب
الفقرة 12	ناصية:	مقدّمة، ناحية، نابغة، جماليّة
الفقرة 12	تعريب:	العودة إلى الجاهليّة، تحويله إلى العربية، ترحيب، ترتيب
الفقرة 12	ملكات:	رئيسات، تعليمات، مواهب، مسؤولات

الكلمة	الجملة

👉 في الصرف والنحو

1. الفقرة 1،

- أ. استخرج مصدرًا مؤوَلًا وحَوِّله إلى مصدر صريح ثمَّ ضعه في جملة مفيدة.
 ب. استخرج مصدرًا صريحًا وحَوِّله إلى مصدر مؤوَل، ثمَّ ضعه في جملة مفيدة.

المصدر	التحويل	الجملة

2. الفقرة 2،

استخرج اسمًا منسوبًا، اسم تفضيل، اسم فاعل، وصِفَةً مشبّهة، ثمَّ ضَعْ كلاً منها في جملة مفيدة.

النوع	الاسم	الجملة
اسم منسوب		
اسم تفضيل		
اسم فاعل		
صِفَةٌ مشبّهة		

3. الفقرة 4،

صُغِّ ما بين الأقواس حسب المطلوب:

(كشف)- اسم مفعول	
(طفل)- اسم مصغَّر	
(أخذ)- صيغة مبالغة	
(شكل)- اسم منسوب	
(تعلم)- اسم فاعل	
(قدرة)- صفة مشبّهة	
(إجادة)- اسم تفضيل	
(أشار)- اسم فاعل	

4. اشكل العبارة التالية من الفقرة 7

واستمرّ الدنان بتجربته اللُّغويّة الجريئة هذه مع ابنته التي تصغر أخاها بأربعة أعوام، وتكلّلت التجربة هذه بالنجاح أيضًا.

5. أعرب الكلمات التالية (الواردة بتسلسل) من الفقرة 5

هذا

لافت

بعد

اللهجة

وسيلة

ينبغي

تعلم

أخذه

المُلحّة

العرب

الأخرى

عملاً مُثمرًا

مرشدو اللغة العربيّة